خير من النظر في تلك الأحوال . ومنها النوم والراحة والإعراض عن القبح والشناعة وما لا يستحب النظر إليه في جميع الأحوال ، وليس لأحد أن يقول حتى في جواب هذا السؤال إن النظر خير من عدم النظر في جميع الأحوال

ألم يقل المعري في هذا المعنى فقال :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بنقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

فإذا أردنا الإنصاف قلنا : بل في الوجود شيء تأسى على فقده العيون ، وفي الوجود شيء لا تأسى على فقده العيون

و « كلاهما » ثم تفصيل في التفضيل جواب صالح لكل « أيهما » على هذا الاعتبار .

عباس محمود العقاد

على هامش النقد

خواطر متساوقة

في النقد والأدب والأمور

الأستاذ سيد قطب

مما يؤسف له أن يقف الناقد بين فترة وفترة ليرسم طريقه ، ويحدد أهدافه ، ويعلن عنها للقراء ! ولكننا في دور يقوعة أدبية ، فلا مفر من الوقوف عند هذه البديهيات . ولعل مما يعزى عن ضياع الوقت والجهد في هذه الوقفات — وإن كان موضع أسف جديد — ، أن الناقد في الشرق العربي ، لا ينهض لتصحيح مقاييس الفن وحدها ، ولكنه ينهض كذلك لتصحيح معايير الأخلاق !

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كنت أدرك — كما قلت مرة — : « أنني لن أخرج من بين المؤلفين بكثير من الأصدقاء ! فالفنان — بل الإنسان عامة — لا يرى في الغالب إلا الصفحة الجميلة في نفسه ، لأن هذا الجانب هو الذي يسره ويلذه ، ويملق كبرياءه ويغذي غروره . فإذا ووجه بالصفحتين جميعاً ، فوجئ بالصفحة الأخرى التي يراها لأول مرة ، وحسبها تزويراً عليه .

وحتى لو اقتنع بأنها صفحة ، فإنه لن يستريح لعرضها على نظره وأنظار الناس » !

ومن يومها وأنا أفقد الأصدقاء واحداً إثر واحد ، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم ! بل عدداً أكبر لأنني أضم إليهم كل يوم خصوماً . . . ولكنني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق ؛ فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون !

ولقد احتملت منذ أشهر فقد صديق عزيز مقابل مقالة نقد ، أعطيته حقه فيها دون تطفيف !

ولا بد أن يحتمل المرء ما يأسف له من الهنات الخلقية في هذا السبيل أيضاً ، فلبعض المؤلفين حاشية خاصة ، وظيفتها التهليل والتكبير لكل ما يخرجون من أعمال ، والدفاع — بكل أنواع الأسلحة — ضد النقد الحر ، إذا استطاع ناقد أن ينفذ من هذه الشباك !

ولقد رماني الحظ أخيراً في وقعة من هذا النوع ! فلم يكن بد من أن يصيبني رشاش من هذه الهنات ، وإذا كنت قد أسفت على شيء ، فعلى أنني لم أكن عطوفاً عليها وأنا أفهم بواعثها الصغيرة . . وهل أقل من أن أكون جاهلاً ؛ وألا أكون ناقداً لينجو مؤلف من حكم النقد العادل ؟ إنها أيسر سبيل لتجريح هذا « الناقد » الذي لا يعرف كيف يتخلى عن وظيفته على الطريقة الساذجة المتبعة في المحاكم من « تجريح » أفضل الشهود للحصول على البراءة عن هذا الطريق !

ما علينا . فمنذ اليوم سنعطف على مثل هذه الهنات !

* * *

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كانت لي طريقة معينة أؤدي بها هذا العمل ، لا أرى بأساً من عرضها هنا لقراء « الرسالة » :

إن عملي مع كل مؤلف هو وضع « مفتاحه » في أيدي القراء الذين يقرأون أعماله متفرقة ، ولا يدركون القاعدة التي تقوم عليها هذه الأعمال ، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل

وهذا « المفتاح » ضروري للتعريف بالأديب ؛ وإلا كان

النقد عملاً جزئياً ليس وراءه كبير طائل بالقياس إلى القراء . ونقد كتاب دون بيان السمات « الشخصية » التي تطبعه إنما هو عمل ناقص لا يؤدى إلى شيء في هذا الباب

لا بل إن هذا « المفتاح » ضروري للمؤلف نفسه لا لقرائه وحدهم . فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى خصائصهم . وهم يستفيدون من الناقد الذي يضع المرآة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصيلة

وليس من وظيفة الناقد أن يغير من طبيعة المؤلف التي فطر عليها . ولكن وظيفته أن يعرّف هذه الطبيعة ويبلورها ، ويقيس أعمال المؤلف بها ، ويهديه إليها إذا ضل أو انحرف في فترة من فترات الضعف والضلال !

وكلما تناول الناقد أحد المؤلفين مرة ، يجب أن يصير هذا المؤلف « معرفة » لدى القراء : لا من حيث الشهرة والبروز ، ولكن من حيث تميز الملامح ، ووضوح الخصائص . فلقد يكون المؤلف ذائع الشهرة عند آلاف القراء ؛ ولكنهم لا يدركون « من هو » على وجه التحقيق ؛ ولا يعرفون « مفتاح » طريقته الموحدة في أعماله جميعاً

وأذكر أنني سرت على هذا المنهاج في كل ما كتبته حديثاً من فصول النقد . فلم يكن همي هو التعريف بالكتاب فحسب ، بل التعريف بالكاتب أيضاً . وكانت سمات الكاتب العامة وخصائصه الأساسية ، هي التي تسترعي نظري ، وتنال اهتمامي . وكان المؤلف في نظري إنساناً ذا طبيعة-قبل كل شيء ، ووظيفتي هي تصوير هذه الطبيعة . يستوي أن يكون المؤلف شاعراً أو باحثاً أو كاتب رواية أو قصة أو أقصوصة . فما يعنيني عنوان عمله بمقدار ما تعنيني طبيعة عمله

وعلى هذا الأساس تحدثت مثلاً عن أعمال تيمور ، وأعمال المشتغلين بالرواية والقصة والأقصوصة من الكبار والصغار ؛ وعن نزعته بين نزعاتهم ، وعن المدرسة التي يمكن أن ينمي إليها بين مدارسهم . فأما الذين فهموا طريقتي ، والذين يهمهم جوهر الطبيعة الفنية ، فقد وافقوني أو خالفوني فاهمين ، وأما الذين كل بضاعتهم مصطلحات وعنوانات ، ولا يملكون أن ينفذوا من ورائها إلى جوهر الطبيعة الفنية ؛ فقد راحوا يتمالون ببضاعة من الفهارس والمعجمات !

إن الأديب يكون ذا طبيعة واقعية أو رمزية أو خيالية ، ثم يكون شاعراً وكاتب رواية أو قصة أو أقصوصة ، أو كاتباً اجتماعياً ، أو باحثاً تاريخياً . والناقد المهتم بالطبائع الفنية ، قد يتجاوز العنوان الذي يقدم به أعماله ، ليبحث مباشرة في طبيعة هذه الأعمال ، كما أنه قد يراعي العنوانات الظاهرية مع الطبيعة الداخلية زيادة في التبويب والتقسيم . حينما يقف الآخرون أمام هذه العنوانات لا يتجاوزونها إلى النزعة الكامنة وراءها . لأنهم محرومون من الفطنة إلى طبائع الأشياء !

أحب أن يتنبه قرائي إلى هذا الاتجاه .

* * *

وبعد ؛ فالنقد ضريبة وتضحية ! فما أحسب « الناقد » في الشرق العربي إلا خاسراً لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه :

إنه لا يرضي أحداً إلا القليلين . وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة — أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية ، فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب ، أو عشرة كتب أو عشرين في بعض الأحيان . لقد صنعتها حينما كتبت في « الرسالة » منذ عام أربعة فصول عن الدكتور طه حسين و « مدرسة الأسلوب التصويري » والأستاذ توفيق الحكيم و« مدرسة التنسيق الفني » والأستاذ المازني و« طريقة الحركة الحيوية » والأستاذ العقاد و « مدرسة المنطق الحيوي » ولقد كلفتني كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة ومعظم ما كتبوه من مقالات . ولم أكن لأزيد على هذا الجهد شيئاً لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتاباً . وكل ما يعزيني عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين هم عندي اليوم موضوع كتاب !

ولقد كنت آخذ — في وقت ما — على بعض كتاب

الصحف الأول عندنا أنهم لا يخصصون جزءاً من وقتهم للنقد وتوجيه الحركة الأدبية . فالآن بدأت أفهم أنهم معذورون . فالنقد عمل يستنفد الوقت والجهد ، بلا تعويض مناسب . وخير لهم أن يؤلفوا كتباً موضوعية من أن يتتبعوا أعمال المؤلفين بالنقد . وقد لا يكون بين كل عشرة كتب يقرأونها كتاب واحد يستحق ما أنفق من الوقت فى قراءته !

النقد ضريبة يؤديها الناقد من وقته وجهده ! — وأنا أؤديها قدر ما أستطيع — وإنى لأرغب فى التخلى عن أدائها لأنشىء أعمالاً أدبية أخرى . فلولا أجازة أعطيتها لنفسى فى صيف هذا العام ما استطعت أن أؤلف « كتاباً » . وأشهد أننى لم أتعب فيه أكثر من تعبى فى إعداد مقال من مقالات النقد الصغيرة !

ولكننى أصرح — وليقل من شاء ما يشاء — بأنه ليس هناك الآن « ناقد » يؤدى هذه الضريبة . كان هناك رجلان يستطيعان أداءها — على اختلاف فى النوع والطاقة — هما العقاد والمازنى . فانصرفا — وحق لهما ذلك — إلى الخلق والإنشاء

ثم تصدى لها الدكتور مندور . والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين ومن القلة النادرة بين « الجامعيين » فى مصر الذين لديهم ما يقولونه ، وما يزيدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات . ولا يمنعنى ما شجر بينى وبينه فى وقت من الأوقات من الاعتراف له بهذه الخصائص

ولكنه — مع هذا كله وعلى الرغم من كتاب الميزان الجديد — لا يصلح ناقداً . إنه ناقل ثقافة وشارح آداب . أما النقد فلا . إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه : حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف ، وبين النضج والفجاجة

فالناقد الذى يخلط بين طبيعة المتنبى وطبيعة الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، فيرى أن هناك خيطاً — ولو ضئيلاً — يصل بين هاتين الطبيعتين ، إنما تنقصه الحاسة التى تفرق بين الأصالة والزيف ، ولو تشابهت المظاهر فى بعض الأحايين

والناقد الذى يعجبه « تيمور » حين لا يعجبه « توفيق الحكيم » إنما تنقصه الحاسة التى تفرق بين النضج والفجاجة ، أيا كانت النزعة التى ينزع إليها هذا أو ذاك ، وأيا كانت الطريقة التى يسلكها . فالعمل الفنى الناضج ينال مكانة ، مهما تكن عيوب النزعة التى أملته والطريقة التى يسلكها ، والعمل الفنى الفج لا ينال هذا التقدير مهما تكن نزعته واتجاهه .

ليست المسألة أن هذا اللون يعجبك أو ذاك . ولكنها فى الصميم ، إن هذا أصيل أم زائف ، وناضج أم متعسر . وتلك مسألة لا تخفى معالمها على الناقد الأصيل

ويكون الإنسان قارئاً ومثقفاً ، ولكن هذه الحاسة هبة تنميها الثقافة ، وتعجز عن خلقها فى النفوس

والدكتور مندور يبدع ويعجب ما ظل يتحدث عن المبادىء العامة ، ولكن الزمام يفلت من يده عند التطبيق ، فتختلط عليه الأصالة بالزيف والنضج بالفجاجة . وتستهويه بعض النزعات الأدبية دون بعضها ، فيضله هذا الاستهواء كما حدث فى نماذجه عن « الشعر المهموس » وفى حديثه عن « تيمور »

وهذا لا ينقص من قدر الدكتور مندور ؛ فنحن فى مرحلة بعد نقلة الثقافة فيها هم رواد الجيل .

سيد قطب

الوصية التى كان ينتظرها قراء العربية

أساطير الحب والجمال عند الأغريق

قصص · تصوير · فن · أدب

بقلم الأستاذ دريني خشبة

يصدر فى أوائل ديسمبر

الثمن ٣٠ قرشا عدا أجرة البريد

يطلب من مجلة الرسالة